مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٣) آذار (٢٠١٠)

# شعريّة السّرّ المخفيّ في (الثعابينيّ) عنوانًا

أ. د. علي كمال الدين الفهّادي
جامعة الموصل / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

**عنوان الرواية• للروائي (عبد الله عيسى سلامة) باسم شخصيتها الرئيسة (الثعابيني) تحمل سرّ (جمهورية وادي النعيم) فالثعابيني كشف المعجم اللغوي عن سره في الرواية فأظهر صلته بالوادي وبسط النفوذ وسفك الدم فيه، فالحاكم ظالم متسلط على شعبه، قد فقد الثقة بكل البشر حتى زوجته، وأولى الأفاعي ثقته الكاملة، وجاء جمع الثعبان وألحقت به (أل) التعريف فصار علما، وألحقت به (ياء) النسب للدلالة على من يدور في سياسته وفلكه.**

**إن الحاكم والطبيعة يتواشجان بصمت ساكن مدهش فريد؛ ولاسيما في ياء النسب إذا امتد فيها الصوت؛وفي توالي حروف المد من نحو:الألف والياءين ويحيلان إلى حوار بين بشر وزاحف قاتلين، وجاء العنوان مجردا من الزمان لأن الطاغية يتكرر في الأحقاب، وتجرد من المكان لتكرره في الأمكنة فلزم مجيؤه في مكان متخيل مفترض يحيل على مكان متخيل أيضا جمهورية: (وادي النعيم).**

**ويكشف القرآن الكريم سر العنوان في ارتباط (الثعابيني) بفرعون، فهما يشتركان في القتل وسفك الدماء والكيد والظلم والطغيان والشعور بالغربة والوحدة وزعم الألوهية، واقتران الحية بالحبائل وحوك الحيل والخدع والمؤامرات، فالشيطان عاد إلى الجنة بعد أن طرد منها متوسلا بالثعبان وعاد الاستعمار إلى جمهورية (وادي النعيم) عبر الثعابيني المنفذ لسياسته.**

**ويزيح تعبير الرؤيا عند المسلمين الأستار عن سرّ العنوان فالرواية رؤيا رآها (عبد الله عيسى السلامة) في حلم يقظته أوفي رؤياه المبدعة في زمن يتقلب فيه الحكام تقلب الأفاعي**

فللأجنبي لينها ونعومة ملمسها، وللمواطنين سمها ولدغتها، ويدل الثعبان في تعبير الرؤيا على (رجل الوادي، والعدوان، وعون الظالم، وإعلان الحاكم والدولة ورجل سلطاني كتوم العداوة، والشر، والحسد، والاحتيال، والمكر، والخديعة) وهي دلالات تتوافر عليها جميعا الشخصية الرئيسة الأكثر حضورا في الرواية (الثعابيني) الذي أعاد الاستعمار إلى بلده بعد أن طرد منه مثلما فعلت الحية وهي من مقاربات الثعبان فهي عدو (لأن إبليس اللعين توسل بها إلى آدم عليه السلام فأدخلته الجنة بعد أن طرد منها) والحيات في الرؤيا(كفار وأصحاب بدع ومن آواها في بيته فقد آوى أعداء المسلمين).

لعل خصوصية البحث تتجلى في اعتماد تعبير الرؤيا عند المسلمين في تأويل النص وكشف خفاياه، إذ إن الإبداع الأدبي لا يختلف كثيرا عن الرؤيا التي يعبرها العابر الناقد حين يلج في عوالم الرؤيا وأحلام يقظة المبدع، ولوجا يفك شفرات إبداع النص ويفتح مغاليقه.

## العنوان والتسمية:

بدأت حياة البشر بالمعرفة والعلم منذ خلق آدم عليه السلام إذ علمه الله سبحانه البيان فقال: "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان "[1] فقرن سبحانه الخلق بالتعليم ولاسيما البيان القائم على المعرفة والجمال وحاور الملائكة بشأن الإنسان: " وإذ قال ربك للملائكة إ ني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " [2] ففضل آدم بحفظه الأسماء ومعرفته وإنبائه بها على الملائكة الذين عجزوا عن الإنباء بها، فضلا عن معرفة الإنسان بالقرآن والبيان. فالأسماء والتسمية ذوات أهمية قصوى في المعرفة البشرية رافقت خلق الإنسان، ثم تطور بالبشر الأمر حتى آل الاسم عندهم سرا من الأسرار لا يفشونه لأحد، وقد أخفاه الفراعنة وقدماء المصريين إذ رأوا فيه قدرة وقوة يجب كتمانهما فقد "كان الاسم في حضارة وادي النيل جوهر الشيء، وسر وجوده وقوته، فكان للآلهة أسماء سرّية تكمن فيها قدرتهم وقوّتهم فلا يبوحون بها، وقد امتدت الفكرة عند قدماء المصريّين إلى أسماء الأشخاص من البشر، فكانوا يسمون الفرد باسمين، اسم سري وآخر يدعى به بين الناس " [3].

وبقيت الأسرار المكنونة مصونة في حياة الاسم، وبقيت له قدسيته في الإسلام وبركته، فكل سورة من سور القرآن الكريم تبدأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وكل نشاط بدني أو ذهني أو قولي إذا بدأه المسلم بقوله: " بسم الله الرحمن الرحيم " فهو عبادة يثاب عليه، وبقي اسمٌ لله هو الاسم الأعظم خفيا على البشر لم يتوصل إليه أحد، فهو من أسرار الله ومكنونات معرفته، ونجد أن للاسم _ عند تأويله _ اهتماما كبيرا عند معبري الرؤيا، إذ أولاه ابن سيرين أهمية فائقة في تأويل الرؤيا، وجعل له ثلاثة اتجاهات في الدلالة، فقد يكون تأويل الرؤيا " مرّة من لفظ الاسم ومرة من معناه ومرة من ضده " [٤] ، والاسم في حقيقته للإنسان أو العمل الأدبي الإبداعي " نوع من أنواع الرمز أو الرمز المكثف الذي يحتوي في داخله وباختصار شديد كل المرء شكلا ومضمونا، فالكائن كله قائم في ضمير الاسم "[٥].

يعد عنوان القصيدة أو الرواية مفتاح الدخول إلى عالمهما فعنوان القصيدة مكنون في مطلعها فقد تفنن الشعراء في صوغ مطالع قصائدهم، وأولاها النقاد اهتماما كبيرا حتى عد ابن رشيق القيرواني المطلع مفتاح القصيدة " فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عند (الشاعر) أول وهلة "[٦]. ويشترط حازم القرطاجني في المطلع أن يتضمن إشارة إلى موضوع القصيدة ومقاصدها، فيكون المطلع " مناسبا لمقصد المتكلم من كل جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة ..... وكذلك في سائر المقاصد " [٧] فعنوان القصيدة أو اسمها يكون مخفيا مضمرا في مطلعها، ويشترط أن يدل عليها فهو مفتاحها الذي يعرف به بحرها وقافيتها وموضوعها ومقاصدها. أما الرواية فإن اسمها أو عنوانها معلن غير مضمر دقيق في دلالته عليها، خلافا لما هو عليه الأمر في مطلع القصيدة، إذ يكون مضمرا مخفيا، واختيار العنوان استجابة لقوة داخلية غامضة تملي علي المؤلف اختياره دون وعي منه وقد يختاره بدوافع ثقافية، أو إيقاعية، أو تركيبية تتصل ببنية النص[٨] فالعنوان أو الاسم في الرواية بمثابة البذرة الدقيقة في الصغر سواء أكان حرفا أم كلمة أم جملة تنبت الشجرة منها، وتحمل كل أسرارها وخصائصها الوراثية، وفيها كل مورثاتها (الجينات) فلها صلة بالجذور والسيقان والفروع والأفنان والورق والثمر، الثمر الذي يحوي بدوره بذورا، تحوي كل بذرة منها الصفات كلها والعلاقات الحيوية بين أجزائها وفروعها، فحبة

التوت أو التين على تناهيهما في الدقة والصغر سر يفضي إلى كل دلالات الشجرة:عرقها وخصائصها وفصيلتها وعائلتها في عالم النبات والطبيعة، فكذلك الشأن في عنوان الرواية فهو مفتاح يفضي بنا إلى عالمها الدلالي أو الرمزي أو إليهما معا، فالعنوان عين أو بلورة سحرية ينظر من خلاله المتلقي فيشرف على عوالم الرواية وينظر ما فيها من ظاهر بين، ويرى بعقله وعواطفه وحدسه وخياله ما يستجن فيها من خفاء معمى داخل النص.والعنوان على نحو ما يراه العدواني:"إشارة لغوية ذات شأن ووظيفة وأفق فكري موصد أو مفتوح بقصد المنشئ ونزعته وإرادته وطبعه ومذهبه في ممارسة الإبداع"[٩]

وفي رواية (ألثعابيني) التي أبدعها (عبد الله عيسى السلامة) ، اختار لعنوانها اسم أبرز شخصياتها الرئيسة الأكثر حضورا في الرواية التي تدور حولها الأحداث، فأول ما يطالعنا العنوان نواجه تساؤلا لا يخلو من إشكالية نبحث عن إجابته في داخل الرواية لنصل من ثم إلى الإجابة التي تحيلنا إلى العنوان وشخصية (هاني بن غالب ألثعابيني) رئيس جمهورية (وادي النعيم) اللذين يثيران تساؤلا عن سرهما إذ يحيلان إلى زاحف من زواحف الطبيعة سام قاتل متقلب، عرفه الإنسان عدوا محيرا منذ بدء الخليقة، وقد أشار عنترة إلى خطورة تقلبه بين اللين والقتل إشارة تحذر من الانخداع بلين السياسة وكلام السياسي المتسلط وما يخفيه تحت لينه من سم فاتك فقال: [١٠]

لا يعلَمُ الحِقْدَ من تعلُو به الرُّتَبُ ولا يبلغُ العُلا من طبعُهُ الغضبُ
إنَّ الأفاعي وإنْ لانَت مَلامسُها عند التقلّب في أنيابها العَطَبُ

فالثعبان والأرقم والحية والشجاع ، أسماء معروفة عند العرب ذوات مقاربات دلالية، والعرب على نحو ما يذكر الزركشي " تراعي في الكثير من مسمياتها أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لأدراك الرأي للمسمى ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها.." [١١]

وصلة الرواية وثيقة بعنوانها من خلال التوحد بين اسمها واسم شخصيتها الرئيسة الأكثر حضورا التي يصفها (السلامة) بأنها " شخصية فرد –بداية– لابد أن يكون فيها للفرد

تميزه، بصفته نموذجا متفردا، حتى لو كان يعبر عن نمط واسع الانتشار في المجتمعات البشرية، فشخصية (الثعابيني) الدكتاتور شخصية متميزة منفردة تعبر عن نمط من الحكام سائد في العالم العربي. ولو كان مجرد خيط في نسيج مجتمعي متلاحم متماسك، لما عبر عن النمط الذي ينتمي إليه الحكام الطغاة المستبدون الذين يصورون أنفسهم آلهة "[١٢]. تدور أحداث الرواية في جمهورية (وادي النعيم) التي جاء اسمها إما سخرية وتهكما لما تعانيه الشعوب المقهورة المظلومة المستلبة في ظل طغاة بدلاء للاحتلال المباشر على التضاد، وإما على الحقيقة فهو نعيم الحكام والطغاة، ويرأس الجمهورية الرئيس (هاني بن غالب الثعابيني).

وإذ نبدأ بتفكيك العنوان نجد أنه يحيلنا إلى الشخصية الرئيسة في داخل الرواية التي نتناول دلالاتها في اللغة ومعجماتها وفي القرآن الكريم وفي تعبير الرؤيا.

## الدلالة اللغوية:

نجد أن اسم الثعابيني مؤلف من (أل) ألف ولام التعريف لجعله علما على جنس الثعابين و " ثعبان " الملحق بها (ي) ياء النسب دلالة على قبيلة الرئيس هاني ونسبته إليها في ظاهر اللغة وظاهر العنوان، و على من يرتبط به مصيريا وسياسيا ويدور في فلكه في المخفي منه، وتبقى كلمة ثعبان التي تتوسط بين (أل) التعريف و(ي) ياء النسب تنطوي على إشكاليات تسمية الشخصية وتسمية الرواية ومن يحيط بالرئيس من الثعابين التي يثق بها ويداعبها بعصاه " (ساميريا) الحية الأسترالية الضخمة الوديعة ذات الجلد الأرستقراطي الأبرش الناعم وثمنها عشرة آلاف دولار، و(رافيسكا) الحية اللعوب المشتراة من أوكرانيا السوفيتية، و(جودية) من عمان، و(سخبولة) من اليمن، و(وادعة) و(ساجية) من الحجاز و(مرجانة) من البحرين، و(هاريشا) من تايوان، و(خلادة) من تونس، و(بلهونة) من ليبيا، و(الليدي راميستا) من فرنسا، و(لعلوعة) ذات اللسان الناري من سوريا، و(طرفاية الكحلاء) من مصر، و(بنعوسة) ذات الجلد الزئبقي المتموج من الجزائر".[١٣]

وإذا تصفحنا المعجم نجد أن " الثعبان: الحية الضخم الطويل الذكر خاصة، وقيل كل حية ثعبان والجمع ثعابين، وقال ابن شمّيل: الحيات كلها ثعبان، الصغير والكبير والإناث

والذكران، والجان:الصغير من الحيات "[١٤] وأورد الفيروز آبادي قوله " الثعْب:مسيل الوادي جمعه ثعبان، ومثاعب المدينة مسايل مائها"[١٥] ومن هنا نجد التواشج بين الثعابيني الرئيس ودولته (وادي النعيم) في الدلالة المعجمية التي أقامت الصلة بين الثعبان والوادي والمدينة " فالبلاد كلها صارت عقارا للثعابيني "[١٦] " بل إنه أمر وسائل إعلامه أن تسمي وادي النعيم بوادي الثعابيني"[١٧]. ويرى ابن فارس أن" الثاء والعين والباء أصل يدل على امتداد الشيء وانبساطه... والثعبان:الحية الضخم الطويل، وهو من القياس في انبساطه وامتداده خلقا وحركة " [١٨] ومن القياس على المعجم فإن (الرئيس هاني) قد استطال على امتداد جمهورية وادي النعيم وبسط نفوذه وسلطانه عليها حركة لا خلقة وقال الخليل: "يقال ثعبت الماء وأنا أثعبه إذا فجرته فانثعب كانثعاب الدم من الأنف " [١٩] ومثلما رأينا بالقياس على المعجم بسط الرئيس سلطانه على وادي النعيم نستنتج أنه ظالم مولع بانثعاب الدم والقتل وسفك الدماء " هذا الطويل النحيل المتلمظ بدماء خصومه أبدا "[٢٠] وتأتي عنونة الرواية تشكيلة يتواشج فيها الإنسان بالطبيعة في حوار مدهش صامت ساكن مميت، ولا سيما إذا امتد الصوت في حرفي المد في العنوان الألف والياء إذ يشير الإيقاع إلى بطء الحركة المتناغمة مع التراخي ويحيل إلى حوار بين قاتل وزاحف الطبيعة السام القاتل لجنس الإنس والبهائم " الحيات أكالة اللحوم وأعداء الإنس والبهائم " [٢١] والعنوان اسم لجمع ؛ لأنه يمثل جمع الحكام الطغاة في العالم العربي والإسلامي، مجرد من الزمان لابتلاء الشعوب بنماذج من هؤلاء الطغاة في أكثر من حقبة فكل منهم ثعبان وهم ثعابين، وجاءت ياء النسب لتنسبهم إلى أعمالهم وسياساتهم وعدائهم لشعوبهم من الإنس وظلمهم فقد ضربت الحية مثلا للظلم فقالت العرب: " أظلم من حية " [٢٢] ؛ وذلك لأنها تجيء إلى جحر غيرها فتغلب عليه مثلما يغلب الحاكم الظالم "هاني بن غالب " شعبه على حقه في الحكم ؛ ولذلك نجد العلاقة بين الرئيس الثعابيني وهو عنوان مجرد من المكان أيضا على الرغم من ذكر مكانه في داخل الرواية (وادي النعيم) الجمهورية التي تدل على أكثر من بلد وأكثر من دولة مبتلاة بالطغيان والطغاة وتمثل ياء النسب الإحالة إلى مفرد يمتلك سموم الثعابين الفتاكة وهو مفرد ؛ لأنه معزول عن شعبه وحيدا يعيش غريبا لا يأمن أحدا إلا أفاعيه التي تكتم أسراره[٢٣] ويبتهج بمنظرها [٢٤] ويقول عنها: "إنني أثق بها أكثر مما أثق بأي إنسان فهي أمينة مخلصة تحفظ الود وتكتم السر بخلاف بني البشر الذين لا يمكن أن

تطمئن إلى أي منهم اطمئنانا تاما مهما قربته منك، ورفقت به، وحدبت عليه وأحسنت إليه " وهو موقف يذكرنا بموقف الشنفرى الأزدي الذي انقلب على قومه ومجتمعه فبدأ يقتلهم انتقاما لاستعباده وابتعاده عنهم وشعوره بالغربة شعورا جعله لا يثق ولا يأمن إلا وحش الصحراء الذي رأى فيه أهلا دون أهله فقال: [٢٥]

ولي دونَكم أهلونَ سِيدٌ عَمَلّسٌ وأَرقَط زُهلُول وعَرْفاءُ جَيْأل

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل

إلا أن الشنفرى كان قد استعبده قومه خلافا للثعابيني الذي استعبد نفسه فجعلها عبدا للمحتل، وتأتي ياء النسب في إشارتها إلى المفرد لتمثل الطاغية غريبا وحيدا يعاني الغربة ويقاسي آلامها وعذاباتها بعد أن فقد بشريته، فهو غريب غربة فرعون بعد أن تركه السحرة وتخلوا عنه عند إيمانهم بموسى عليه السلام " شعور قديم ضارب جذوره في أعماق النفس.. إنه الإحساس بالغربة.. تعجب من نفسه: رئيس جمهورية يتحكم بمصير البلاد والعباد.. ومع ذلك يحس بالغربة.. إنه أمر غريب حقا.. لكنه أمر واقع.. ولا تفسير له إلا عدم الثقة، إنه لا يثق بأحد، ولا يطمئن إلى أحد " [٢٦]

## الدلالة في القرآن الكريم

ورد ذكر الثعبان والحية في القرآن الكريم في سياق قصة موسى عليه السلام مرتبطا بشخصية ظالم طاغية قد اضطهد رعيته بالعدوان، وأذلهم بالكيد والسحر والقتل وتذبيح الأبناء واستحياء النساء، وزعم الإلوهية إذ ورد ذكرهما بصلتهما بفرعون وسحرته.فشخصية فرعون هي الأخرى رئيسة سلبية منبع للشرور والكفر والظلم والآثام ومثلما ادعى فرعون الإلوهية صراحة، ظنها الثعابيني في نفسه دون أن يعلن عنها على وصف(السلامة) مؤلف الرواية.[٢٧] وتأتي الحبال والعصي المسحورة بأيدي سحرة فرعون وكأنها أفاع وحيات تسعى بما يخيل للإنسان من فعل السحر" قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى"[٢٨] وثمة سياقات أخرى ورد فيها ذكر الحية والثعبان

كلها في العلاقة بين موسى عليه السلام والطاغية فرعون"وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بأية فآت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قال أرجهْ وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم "[٢٩] إذ يتبين ارتباطها بالسحر المضلل للناس مقرونة بالحبال ومازال الناس يصفون الماكر الخبيث المحتال الذي يحوك المؤامرات والخدع بـ(فتل الحبال) ويبالغون فيقولون(فتّال حبال) بالإمالة[٣٠] وكذلك شأن الرواية فالثعابيني يروض أفاعيه بعصا طويلة ويداعبها بها " ابتسم هاني.. وعصاه ما تزال تداعب الأفعى المنتصبة أمامه... وتابع مداعبته للأفعى الضخمة بعصاه الطويلة الملساء "[٣١] ويقترن ذكر الأفاعي بالحبال في حوار الخصومة من السياسيين ولا سيما حبال الشنق " إذا لم يجد الثعابيني حبالا يشنقنا بها، فسيشنقنا بأجساد أفاعيه الناعمة الجميلة...لأن جسدها البض المكتنز يخنق الأنفاس دون أن يحز الرقبة "[٣٢] وفي تفسير قوله تعالى"فأزلهما الشيطان عنها "[٣٣] يقول الزمخشري إن الشيطان " لما أراد الدخول إلى الجنة لإغواء آدم وحواء وإغرائهما بالأكل من الشجرة منعته خزنة الجنة، فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون"[٣٤] وأورد الآلوسي في كيفية وسوسة الشيطان لآدم في الجنة أقوالا منها "وقيل:توسل بحية تسورن الجنة ومشهور حكاية الحية " [٣٥] وأورد القرطبي: " أن إبليس دخل الجنة في فم الحية.... فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها.. " [٣٦] فإن العلاقة واضحة هنا على القياس بين الشيطان والحية ومن ثم الاستعمار والثعابيني فقد تحررت جمهورية (وادي النعيم) من الاستعمار (الشيطان) وطرد منها لكنه عاد بمكر وسحر شيطاني لإيذاء الناس عن طريق الثعابيني الذي رعى مصالحه وأهدافه، ولا يخفى ما في دلالتي الجنة والنعيم من مقاربات واقترانات حتى إنها وردت سبع عشرة مرة في القرآن الكريم. [٣٧]

الدلالة في تعبير الرؤيا:

**الإبداع حال بين الرؤيا واليقظة يكون على الجسر الموصل بينهما يشده الحلم تارة إلى عوالمه، وتشده اليقظة تارة إلى عوالمها، فلا هو خيالي محض، ولا واقعي محض، إنه بين قطبي جاذبية لا خلاص له منهما حتى يولد، فإذا أتيح له متلق مبدع أدخله بين قطبي الجذب ثانية يشده كل منهما إليه محاولا أسره. فليس بدعا أن ننظر إلى الرواية على أنها رؤيا رآها الروائي في يقظته الحالمة، ونعرضها على علم تعبير الرؤيا عند المسلمين ولا سيما أن ثقافة المبدع الروائي (عبد الله عيسى السلامة) ثقافة عربية إسلامية واضحة ينطق باسمها وتحيل إلى هويته وتعرب عن انتمائه وعيشه في زمن لا تقل تقلبات السياسة فيه عن تقلبات الأفاعي مداهنة للأجنبي المحتل احتلالا مباشرا أو غير مباشر، وسما وقتلا لأبناء الأمة ولا سيما من المعارضين للطغاة والحكام المتثعبنين المتفرعنين على شعوبهم.**

**أول ما يطالعنا تعبير الرؤيا عن الثعبان عند عبد الغني النابلسي دلالته على " رجل الوادي، وربما دل على العداوة ... وثعبان الماء عون للظالم أو إعلان للحاكم " [٣٨] ومن مقاربات الثعبان، الحية، والحية لمن رآها في المنام " عدو أو دولة ... أو رجل سلطاني ظلوم كتوم العداوة، عظيم الكيد، قوي اسمه كريه منظره"[٣٩] والحية لمن رآها في المنام " شر وحسد واحتيال ومكر وخديعة وتظاهر بالعداوة "[٤٠] ففي عنوان الرواية (الثعابيني) شعرية الرؤيا والحلم الفني الذي يذهب فيه خيال المبدع الفنان كل مذهب حتى يشكل من مخزونه الثقافي علامة وسمة تفضي من العنوان إلى عوالمه الثقافية والمعرفية ومعتقداته وتضاريس جسد النص الرواية، فأية إحالة هذه التي أبدعها خيال (السلامة) من العنوان إلى عالم النص على الظلم والطغيان والحكم المستبد التابع للأجنبي والعدو المحتل، فالثعبان رجل الوادي والشخصية الرئيسة السلبية الأكثر حضورا في الرواية، فشخصية الثعابيني رئيس جمهورية (وادي النعيم) التي حصلت على استقلالها مؤخرا بطرد الأجنبي المستعمر المحتل منها (الشيطان) على نحو ما رأينا في مقاربات الأفعى والثعبان والحية في القرآن الكريم وتفاسير المفسرين، والثعبان في تفسير الأحلام عون للظالم وعدو، ورجل سلطاني ظلوم كتوم العداوة، عظيم الكيد، قوي اسمه كريه منظره. كل هذه الصفات متحققة في شخصية الرئيس (هاني بن غالب الثعابيني) في الرواية فقد أعاد الاستعمار إلى البلاد بشخصه بعد أن طرد منها فحكم حكما غير مباشر من خلال**

الثعابيني، والحية "عدو؛ ذلك أن إبليس اللعين توسل بها إلى آدم عليه السلام ... وربما كانت الحيات كفارا وأصحاب بدع لما معها من السم " [٤١] فالرئيس عدو لشعبه ووسيلة المحتل الكافر(إبليس) للعودة إلى وادي النعيم(الجنة) وخداع الرعية بالبدع وإيواء الأعداء وممالأتهم ؛ فمن " تحول حية فإنه يتحول من حال إلى حال ويصير عدوا للمسلمين فإن رأى بيته مملوءا من الحيات لا يخافها فإنه يؤوي في بيته أعداء المسلمين وأصحاب الأهواء"[٤٢] وقد رأينا كيف أن الرئيس هاني الثعابيني لا يخاف الحيات بل يحبها ويداعبها ويطمئن إليها؛وقد آواها في بيته ؛وصارت أقرب إلى نفسه من مواطني دولته، وقد كان هو نفسه مواطنا في(وادي النعيم) ورجلا في أكثر قبائلها شهرة وعددا لكنه تحول عدوا للمسلمين في توثيق صلته بالسفير الفرنسي الذي احتلت دولته دولا عربية في شمال أفريقيا وغيرها، وممالأته للأمريكان وطواعيته في تمثيل أوامر(فيليب الأزرق) سفير أمريكا في دولته فكان يريه من ثُعْبانيّته أجمل ما فيها:زهوها ولينها ونعومتها وملاستها، يتجلى ذلك في محاورته بأسلوب ناعم لين رقيق:"أشكرك، بل أرجو المعذرة لأنا لم نقدم لك شيئا من الشراب ... فأخبرنا ماذا تحب أن تشرب ؟ " [٤٣] ويستأذنه في مداعبة الأفعى المدللة (سخبولة) [٤٤] ويخاطبه في الحوار نفسه: " أرجو عدم المؤاخذة ... تفضل تحدث بما شئت " [٤٥] بيد أن هذا الاستئذان واللين في الكلام والالتماس والاعتذار الكيّس يختفي فجأة ويغيب اللسان المعسول فتنقلب الأفعى وتظهر نابيها وتهيئ سمها غضبا وانفعالا وتسلطا وينقلب الكلام إلى شتائم وتهديد وسم يفزع حرسه ورجال حمايته من أبناء شعبه: " وصرخ في وجوههم: أسمعتم يا كلاب ؟ أسمعتم كلام الطبيب يا أنذال ؟ تطعمون (ساميريا) (الحية) هدهدا حيا يا مجرمون ؟! أما خطر في بالكم أن ريش الهدهد ومخالبه ومنقاره القاسي يمكن أن يؤذي بلعومها.. أو معدتها..أو أمعاءها الطرية الناعمة.. خذوا يا أنذال. وانهال ضربا بالكرباج على ظهورهم بعنف ونزق " [٤٦] ومن يتابع هذا الحوار يجد أن الحراس الذين نالهم الشتم والسب والإهانات كانوا حريصين على طاعته وإسعاده وابتكار وسيلة تسعده وتسعد أفاعيه بلذيذ الطعام وأن نواياهم حسنة تجاه الرئيس وأفاعيه.

إن الأدلة والدلالات كلها لتمثل إشارات في عالم الرؤيا تشير إلى أن شخصية الثعابيني التي صار اسمها عنوانا للرواية يمكن أن تتكشف أبعادها ولاسيما المضمرة الخفية المعماة من الرجوع إلى تعبير الرؤيا عند المسلمين إذ يحيلنا هذا العلم إلى فك شفرة العنوان وإشعال توهجه ليضيء العتمة الشاعرية التي أخفى المبدع تحت العنوان فيها أسرار المقاصد والغايات. فبتمثل خبر رؤية رآها رجل وقصها على ابن سيرين "كأن بيته مملوء حيات فقال: اتق الله ولا تؤوي عدو المسلمين " [٤٧] وما أورده خليل بن شاهين الظاهري في تأويل الحية والثعبان بأعداء المسلمين مما يوافق ما ذهب إليه ابن سيرين [٤٨] يتبين أن تواشجا عجيبا فذا مدهشا تتناغم تفسيراته وتأويلاته بين ما ورد عن الحية والثعبان في تعبير المنام وما ورد في الرواية مما يدور حول شخصية (الثعابيني) الذي صار عنوان الرواية باسمها من شخصيات رئيسة أو ثانوية ثُعْبانِيّة هي الأخرى. فليس بدعا أن نذهب مذهب علماء تعبير الرؤيا في التعامل النقدي مع عنوان الرواية، إذ أن ثقافة تعبير الرؤيا عند المسلمين فرع من فروع ثقافة المثقف الروائي (السلامة) ومعرفته، ولاسيما إذا وضعنا نصب أعيننا شروط ابن سيرين التي يضعها للعابر قبل أن يتصدى للخوض في هذا الميدان فإن المعبر يجب أن: " لا يضع يده من الرؤيا إلا ما تعلّق أمثاله ببشارة أو نذارة أو تنبيه أو منفعة في الدنيا والآخرة ويطرح ما سوى ذلك" [٤٩] وثقافة بهذا التنوع والاتساع ربما مرت على قول المعري الذي آلمه تسلط الأعاجم على أمته فأحال دنيا زمانه حية عرماء في شؤون الحكم والسياسة، فشخص حال ذلك الزمن الأعجم بقوله:[٥٠]

ووجدتّ الزمانَ أَعجَمَ فَظّاً وجُبّارٌ في حُكْمِها العُجَمَاءُ

إنّ دنياك من نهارٍ وليلٍ وهي في ذاك حيّة عَرْمَاء

ويرى ابن سيرين أن الرؤيا قسمان: " قسم مفسَّر ظاهر لا يحتاج إلى تعبير ولا تفسير وقسم مكنىً مضمر توضع فيه الحكمة والأنباء في جواهر مرئياته "[٥١] ولا شك في أن رواية "الثعابيني" رؤيا من القسم الثاني فهي مضمرة مكناة تنطوي على حكمة السياسة والعبرة فهي إنذار لكل ثعابيني بأن مصيره أن يطاح به على يد أبناء شعبه أو على يد ثعابيني آخر يحل محله فالسياسة في نهاية الأمر لعبة لا تخلو من التقلبات كتقلبات الأفعى وتنطوي على الكثير من الزحف والتلون والسموم، وفي الرواية بشارة أيضاً بأن قال للشعوب أن تتخلص من طغاتها

وحكامها المستبدين فإن في جواهر مرئيات رؤيا الثعبان الحكمة والأنباء المضمرة المكناة التي كشف عنها المعبرون.

فهل نستطيع القول إن عنوان الرواية يمثل منبثقا للظلام والظلم الذي انبثق من طغيان الحاكم المستبد التابع الذي قام وصفه على التضاد الرهيب بين دلالتين في –خلقه– دلالة لين الملمس وزهو اللون بين يدي سيده، فإذا انقلب إلى شعبه فليس سوى دلالة السم والناب والموت.

نتائج البحث:

١. دلالة (الثعابيني) على الحاكم الظالم.
٢. الصلة الوثيقة بين العنوان (الثعابيني) واسم الشخصية الرئيسة السلبية الأكثر حضورا في الرواية (الثعابيني).
٣. الصلة بين ميدان أحداث الرواية في جمهورية (وادي النعيم) والجنة التي طرد منها الشيطان (الاستعمار) مستعينا بالحية (الثعابيني) ليحكم من خلاله.
٤. عمق الدلالة المستمدة من المعجم اللغوي والقرآن الكريم ولاسيما تعبير الرؤيا عند المسلمين إذ إن الإبداع الأدبي لا يختلف كثيرا عن الرؤيا التي يعبرها العابر الناقد الذي يدخل إلى عوالم الرؤيا وأحلام المبدع من خلال نصه الأدبي.
٥. اتساع ثقافة الروائي (عبد الله عيسى السلامة) التي كشفنا عنها من خلال اللغة والقرآن الكريم وتعبير الرؤيا.
٦. يعد الباحث رائدا في استثمار علم تعبير الرؤيا عند المسلين في قراءة الأدب قراءة نقدية تفضي إلى فك شفرات إبداع النص وفتح مغاليقه.

هوامش البحث

(١) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤١-٤

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٣٠ -٣١

(٣) *مقدمة في أدب العراق القديم، طه باقر:* ٢٣ - ٢٤

(٤) منتخب الكلام في تفسير الأحلام / في هامش تعطير الأنام: ٥/١ وينظر: الأحلام عند العراقيين، د. سامي الأحمد: ٤٩

(٥) أسماء الناس: معانيها وأسباب التسمية لها، عباس كاظم مراد: ١٢/١.

(٦) العمدة: ١١٨/١

(٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠١

(٨) ينظر: الدلالة المرئية (قراءات في شعرية القصيدة الحديثة) ، علي جعفر العلاق: ٥.

(٩) فلسفة العنوان في قصص الحرب مشروع للتأويل، د.عبد الوهاب العدواني (بحث): ١٤

(١٠) ديوان عنترة: ٩٢

(١١) البرهان في علوم القرآن: ٢٧٠/١

(١٢) البناء السردي في روايات عبد الله السلامة: ٢٢

(١٣) الثعابيني، المقدمة: ٦_٧، وينظر متن الرواية: ١٢٠

(١٤) لسان العرب، ابن منظور: ٢٣١/١. ابن شمّيل: النضر، راوٍ للغة

(١٥) القاموس المحيط، مادة (ثعب):٤٠/١

(١٦) الثعابيني:١٢٥

(١٧) الثعابيني:١٥٩

(١٨) معجم مقاييس اللغة: ١٦٧

(١٩) نفسه، (ثعب): ١٦٧

(٢٠) الثعابيني: ١٩

(٢١) الحيوان، الجاحظ: ٨/١

(٢٢) مجمع الأمثال ،الميداني: ٤٤٥/١

(٢٣) الثعابيني: ١٦

(٢٤) نفسه: ١٧

(٢٥) لامية العرب أو نشيد الصحراء: ٢٩_٣٠. الأهل:في الأصل: الرهط وأوردها القالي والمبرد في الأمالي والكامل: الأهل ،وهو أوفق للصواب.

(٢٦) الثعابيني:٢٢٨

(٢٧) ينظر البناء السردي، بان صلاح الدين: ٢٢

(٢٨) سورة طه، الآيات ٦٦ – ٦٩

(٢٩) سورة الأعراف، الآيات ١٠٤ – ١١٢، وينظر سورة طه، الآيات ١٧ – ٢٢، وسورة الشعراء الآيات ٢٩ – ٣٥.

(٣٠) كلام سائد في لهجة أهل الموصل.

(٣١) الثعابيني: ١٥.

(٣٢) نفسه: ٦٢ – ٦٣

(٣٣) سورة البقرة، الاية: ٣٦.

(٣٤) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري:٧٢

(٣٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي: ٣١٩/١

(٣٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/ ١٥٩

(٣٧) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (نعم)

(٣٨) تعطير الأنام في تعبير المنام: ١/ ١٢٤

(٣٩) نفسه: ٢١٨/١.

(٤٠) تعطير الأنام في تعبير المنام: ٢٢٠/١

(٤١) منتخب الكلام في تفسير الأحلام، هامش تعطير الأنام:٣/٢

(٤٢) نفسه:٤/٢

(٤٣) ينظر: الثعابيني: ٢٠. وجدير بالذكر ما يرويه الجاحظ: من أن الحية إذا وجدت الخمر شربته حتى تسكر حتى ربما كان ذلك سبب حتفها: الحيوان ٣٩٩/٦. وقد شرب الثعابيني الخمرة مع السفير الأمريكي

(٤٤) الثعابيني: ٢١

(٤٥) نفسه: ٢٣

(٤٦) نفسه: ١١٦

(٤٧) ينظر: منتخب الكلام، هامش تعطير الأنام: ٥/٢

(٤٨) الإشارات في علم العبارات، حاشية تعطير الأنام: ٢١٦/٢ – ٢١٨

(٤٩) منتخب الكلام، هامش تعطير الأنام: ٥/١

(٥٠) اللزوميات: ٥٨/١

(٥١) منتخب الكلام، هامش تطير الأنام: ٨/١ وينظر الديك النبي في لزومية المعري (بحث) د. علي كمال الدين الفهادي، وللاستزادة في تطبيقات تعبير الأحلام على الأدب ينظر للفهادي: الخفاء والتجلي في لامية عبدة بن الطبيب (بحث) ، وعينية حميد بن ثور بين الخفاء والجلاء (بحث).

## ثبت المصادر والمراجع

_ الأحلام عند العراقيين، د. سامي الأحمد، مجلة المورد، العدد الرابع، ١٩٧٤ م، بغداد.

_ أسماء الناس: معانيها وأسباب التسمية لها، عباس ناظم مراد، دار الحرية، ١٩٨٥، بغداد

_ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (_٧٩٤ هـ) ، تحقيق:، محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط١، ١٩٨٠، بيروت.

_ البناء السردي في روايات عبد الله عيسى السلامة، بان صلاح الدين السبعاوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥ م.

_ تعطير الأنام في تعبير المنام، عبد الغني النابلسي، (_١١٤٣هـ) وبهامشه: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، محمد بن سيرين، القرن الأول الهجري، وبحاشيته:الإشارات في علم العبارات، ، خليل بن شاهين الظاهري، القرن التاسع الهجري، دار إحياء التراث العربي (_ ١٣٥٩هـ) ، القاهرة.

_ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (_٥٣٥هـ) ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط٢، (_ ١٤٢٦هـ) ، بيروت.

_ الثعابيني (رواية) عبد الله عيسى سلامة، دار الشفق، ط١، ١٩٨٦م، بيروت.

_الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (_٦٧١ هـ) مكتبة الصفا، ط١ (١٤٢٥ هـ =٢٠٠٥ م) ، القاهرة.

_ الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (_ ٢٥٥ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦ م، بيروت.

_ الخفاء والتجلي في لامية عبدة بن الطبيب (بحث) ، د. علي كمال الدين الفهادي، مجلة آداب الرافدين العدد (٢٩) لسنة ١٩٩٧ م، جامعة الموصل.

_ الدلالة المرئية (قراءات في شعرية القصيدة الحديثة) ، علي جعفر العلاق، ط١، دار الشروق، ٢٠٠٢، عمان: ٥.

_ الديك النبي في لزومية المعري (بحث) ، د. علي كمال الدين الفهادي، مجلة التربية والعلم، العدد (٢٢) لسنة ١٩٩٩ م، جامعة الموصل.

_ ديوان عنترة، دار بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، بيروت.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد أحمد الآمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) ، بيروت.

_ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي

(_ ٤٥٦ هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢ م، بيروت.

_ عينية حميد بن ثور بين الخفاء والجلاء (بحث) ، د. علي كمال الدين الفهادي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد (٤٣) لسنة ٢٠٠٦ م.

_ فلسفة العنوان في قصص الحرب مشروع للتأويل، د. عبد الوهاب محمد علي العدواني (بحث) مجلة التربية والعلم، العدد: ٢٦ لسنة ٢٠٠٠، كلية التربية، جامعة الموصل.

_ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، دار العلم للجميع، د. ت، بيروت.

_ لامية العرب أو نشيد الصحراء لشاعر الأزد (الشنفري) شرح وتحقيق: د. محمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤ م، بيروت.

_ اللزوميات، أبو العلاء المعري، دار صادر، ١٩٦١، بيروت.

_ لسان العرب لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (٦٣٠ _ ٧١١ هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، القاهرة.

_ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، د. ت، بيروت.

_ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (_ ٣٩٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م) ، بيروت.

_ مقدمة في أدب العراق القديم، طه باقر، دار الحرية، ١٩٧٦ م، بغداد.

_ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، (_ ٦٨٤ هـ) ، تحقيق: محمد الحبيب أبي الخوجة، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦ م، تونس.

## The Poetics of Implicitness in Al-Thaᶜabini (The Serpentine) As a Title

**Prof. Dr. Ali Kamal - Al - Din Al – Fahhadi**

The title of the novel Al-Thaᶜabini refers to the main character Al-Thaᶜabini (the serpentine) and denotes a killer-reptile as an enemy of mankind just as a ruler who is a lackey of imperialism is an enemy of his own people. Linguistically, the serpent is a symbol of slackness, killing, injustice and animosity towards both man and beast, just like a ruthless ruler. The title is spaceless and timeless, which shows that oppression and despotism have no fixed space or time.

The title can be related to the story of Prophet Moses and Pharaoh in the Glorious Qur'än which involves deception, witchcraft, cunning, evil and claiming divinity. In the Qur'änic interpretation this is linked to Satan who was dismissed from Heaven and returned with the help of the serpent. This is similar to the driving out of imperialism of the Valley of Happiness (Naᶜim) to return aided by the serpentine and to rule through him.

The interpretation of the dream reveals the relationship between the serpent and the unjust ruler: 'the Man of the Valley' who symbolizes hostility, oppression, the tyrant sly ruler, evil, envy, craftiness, cunning and animosity aimed at Moslems.